الثقافة القومية والثقافات المحلية :
تناقض أم انسجام

دكتـــور چورچ جبـــور *

تقـــــديم :

لا يهدف هذا البحث الى الغوص العميق والمجرد فى الفلسفة القومية او فلسفة الثقافة . كذلك لا يهدف بالمقابل الى معالجة مسائل سياسية وقومية راهنة تشغل اهتمامنا حاليا وفى طليعتها مسألة لبنان . ما يهدف اليه هذا البحث هو القاء اضواء على مسائل سياسية وقومية راهنة تشغل اهتمامنا حاليا وفى طليعتها مسألة لبنان **اعتمادا على بعض افكار ذات علاقة بالفلسفة القومية وفلسفة الثقافة** . وليس هذا البحث طبعا نهاية رحلة فكرية ، وليس هو بالمقابل بداية تلك الرحلة . فحقيقة الامر ان هذا البحث يندرج فى طريق الرحلة التى اقوم بها ، ويقوم بها كل من يفكر باخلاص ومنهجية فى قضايانا القومية والسياسية المصيرية ، تلك الرحلة التى تبتدىء من اخذ العلم بالواقع العربى الموجود المرفوض ، واقع التجزئة ، لتنتهى باجتياز الطريق الى المستقبل العربى المنشود ، مستقبل الوحدة .

اما منهج هذا البحث فاعتيادى هو الى الكلاسيكية العامة في البحث اقرب منه الى مناهج فى العلوم الاجتماعية لم يستقر عليها اجماع . واكتفى بهذا القدر فى الحديث عن منهج ، ذلك ان لدى شخصيا صعوبات منهجية في العلوم الاجتماعية اعانى منها ولا ابدو في طريقى الى حل سريع لها . وهذا الامر بالطبع انما هو جزء من مشكلة عامة يعرفها كل باحث فى العلوم الاجتماعية . (١) وعلى هذا فان **المحاولة التى اقدمها هنا ، انما هى انطباعات وافكار لمراقب للوضع العربى العام ، وليس لمتخصص دقيق فى مسائل التفاعل**

(*) رئيس قسم البحوث والدراسات السياسية بمعهد البحوث والدراسات العربية والبحث الحالى نص المحاضرة التى ألقيت فى المركز الثقافى العربى بدمشق مساء يوم الثلاثاء فى ٢٠ - ٤ - ١٩٧٦ .

(١) وأحب أن أشير بهذه المناسبة إلى كتاب للبروفسور Andreski باسم العلوم الاجتماعية كشعوذة Social Sciences as Sorcery من منشورات Penguin عام ١٩٧٣ .

الثقافي (ذلك الحقل الصعب الذى تبحثه الانتروبولوجيا الاجتماعية والفلسفية كما فى تقاليد Northrop خاصة) **رغم اننى لا اعرف متخصصا عربيا دقيقا في تلك المسائل .** ولأن ما اقدمه انما هو انطباعات وافكار مراقب ، فما ابغيه من هذا البحث **ليس تقديم اقتناع ومحاولة اقناع ، بل آمل ان يكون بحثى محاولة لاستثارة الذهن** تمهيدا لتبادل الراى في مسائل لا بد لنا ، كمعنيين بالفكر القومى ، من ان نبحثها ونجد لها اجوبة معقولة تعيننا فيما نحن فيه ، ذلك ان الوحدة اخيرا انما هى عمل عقلى وليس نزوة عاطفية .

وتسلسل البحث ايضا واضح ، فبعد قليل سأتكلم عما يمكن ان يعنيه تعبير الثقافة القومية ، وبخاصة تعبير الثقافة القومية العربية ، لانتقل الى الحديث عن تعبير الثقافة المحلية وبتحديد اكثر **الثقافات المحلية العربية اى الموجودة في الوطن العربى** ، وساعلق سريعا على اهمها ما عدا تلك الموجودة في فلسطين * (اذ لن انظر في موضوع الاستعمار الاستيطانى الصهيونى في فلسطين ثم انتقل بعد ذلك في الحديث الى بحث العلاقة بين الثقافة القومية والثقافة المحلية بشكل عام على ضوء بعض التجارب التوحيدية (اى القومية) الكبرى فى العالم ، لانتقل بعد ذلك فى قسم رابع ختامى الى بحث العلاقة بين الثقافة القومية والثقافات المحلية في الوطن العربى **ذاكرا بضع نقاط ارى** ـ بالاستقراء العام لا بالاستنتاج المنطقى الدقيق ـ انها قد تصلح (اتجاها) اساسا ندعم به ثقافتنا القومية . ـ

اولا : ما هى الثقافة القومية عامة ، والثقافة القومية العربية خاصة :

لست ادرى تاريخ هذا التعبير National Culture وان كان يبدو لى انه يدخل ضمن اطار الفلسفات القومية التى سادت اوروبا منذ اواخر القرن الثامن عشر خاصة .

(*) بحث موضوع الاستعمار الاستيطانى بالتفصيل فى كتاب بالانجليزية نشرته عام ١٩٧٥ جامعة الخرطوم ومنظمة التحرير الفلسطينية (مركز الابحاث) وهو نافد منذ فترة . كذلك صدر لى فى دمشق عام ١٩٧٦ كراس عن القيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى بعنوان « الاستعمار الاستيطانى » « ٩٦ » صفحة ، فى هذا الكراس ثبت بما نشرته من دراسات فى هذا الموضوع ونص اقتراحى بتاريخ ٢٥ / ٩ / ١٩٧١ بإنشاء « مؤسسة بحث متخصصة فى الدراسة المقارنة للاستعمار الاستيطانى فى العالم » ومما يذكر أن الخبراء العرب فى دراسة العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الافريقية قد رأوا ، فى اجتماعاتهم التى عقدت فى معهد البحوث والدراسات العربية بين ٢٩ / ١١ — ١/١٢/ ١٩٧٧ امكان النظر فى انشاء المؤسسة المقترحة على نحو تربط به مباشرة بجامعة الدول العربية وبمنظمة الوحدة الافريقية .

وبالطبع يثير التعبير كل ما يمكن ان يثيره تعبير سياسي ـ فلسفي من احتمالات كثيرة تختفي احيانا وتتضح احيانا اخرى .

ويرتبط تعبير الثقافة القومية بتعابير اخرى تشير الى جوانب من الظاهرة القومية نفسها مثل تعبير **الطابع القومي** National character ، وان كانت الثقافة القومية تشير الى ما هو ارفع مقاما فكريا في الطابع القومي .

واذا كان تعريف تعبير الثقافة القومية تعريفا جامعا مانعا امرا يثير كثيرا من الصعوبات ، الا ان محتواه العملي ، في معظم الحالات ، ليس موضع جدل . فمن البديهي مثلا ان الثقافة القومية الانجليزية تشمل ذلك النص الشهير بالماغنا كارتا كما تشمل شكسبير وشارلز ديكنز والادبيات الانكليكانية بما في ذلك ما تمثله اسقفية كانتربري ليس كمقام ديني مطلق بل كمقام ديني انجليزي . كذلك فان الثقافة القومية الفرنسية تشمل عمليا تراث ريشليو كما هي تشمل تراث روسو ومونتسكيو وفولتير وبرغسون ودوغول .

وبالاجمال ، وايضا دون الاتيان بتعريف جامع مانع للثقافة القومية، (فمثل ذلك التعريف يعود بنا الى المشاكل المنهجية في العلوم الاجتماعية ، تلك المشاكل التي اشرت اليها فيما سبق) يمكن **القول ان الثقافة القومية هي ذلك الجزء من الثقافة الموجودة في بقعة جغرافية معينة** (هي عموما الوطن) **الذي له اثر توحيد السكان الموجودين في تلك البقعة الجغرافية المعينة ضمن اطار ثقافي واحد** . بكلمات اخرى : **الثقافة القومية هي تلك الثقافة التي يشعر بالشراكة فيها كل الذين ينتسبون الى قومية واحدة ، والتي تؤثر في هؤلاء المشاركين تاثيرا توحيديا باعتبارها مرجعا لهم جميعا .**

فاذا اخذنا التوضيحات السابقة وحاولنا بشكل اولي بسيط تبين ما تعنيه بالنسبة للثقافة القومية العربية امكننا الخروج بما يلي في مضمار محتويات تراث الثقافة القومية العربية ، ونذكر فيما يلي الحد الادنى لهذه المحتويات :

١ ـ **الشعر الجاهلي** باكمله حجر زاوية في تراث الثقافة القومية العربية.

٢ ـ **وكذلك القرآن الكريم والسنة المجمع** عليها التي استنها **الرسول العربي** ، وما اتى به **الخلفاء الراشدون** (واكثرهم اثرا اثنان هما عمر وعلي رضي الله عنهما) **والصحابة** .

٣ ـ ويدخل في تراث الثقافة القومية العربية **أولئك الفلاسفة والمفكرون والادباء الذين امتد اثرهم ليشمل كل الامة العربية في ماضيها ، وفي** طليعة هؤلاء عمالقة **كالمتنبي وابي العلاء والغزالي** (رغم ان بعض آرائه كانت

موجهة ضد معتقدات قسم هام ممن ساهموا فى تراث الثقافة القومية) **وابن خلدون** وغيرهم .

٤ ـ كذلك يدخل فى تراث الثقافة القومية العربية تلك **(الفولكلوريات) المجسدة لبعض ما عانى منه وتمتع به العرب** من عاطفيات شعبية جامعة ، كحكاية الزير وتغريبة بنى هلال وما اشبه ـ واعترف انني عموما بعيدا عن ادراك كل ما تمثله هذه الفولكوريات من معان وما يلتبس به امرها من ظروف .

٥ ـ واخيرا ، لابد لنا ان نعتبر من تراث الثقافة القومية العربية تلك **البدايات الاولى المجمع عليها قوميا فى النهضة العربية الحديثة والتى تمثل** فى اساس ما تمثله **ثورة الحس العربى ازاء التدخل الاوروبى الحديث وازاء حالة التخلف التى عاشها العرب فى ظل امبراطورية الخلافة العثمانية** . هذه البدايات ارخها بحب واخلاص فيما يختص بمنطقة الشرق العربى المرحوم الاستاذ جورج انطونيوس مؤلف كتاب **نهضة العرب** ، وارخها ، بنفس الحب والاخلاص فيما يختص بمصر ، كثيرون فى طليعتهم « الحديثة » الدكتور انورعبد الملك.وارخها فيما يختص بالمغرب العربى مؤرخون غير هذين من بينهم مثلا الاستاذ البرت حورانى في كتابه الشهير حول **الفكر العربى فى العصر الليبرالى** (وان كان الاستاذ حورانى لم يقصر اهتمامه على المغرب العربى بالطبع) .

هذا الشكل الاولى البسيط لتبيين ما تعنيه الثقافة القومية العربية فى مضمار محتوياتها والذى يمثل الحد الادنى لهذه المحتويات **لا يعفينا بالطبع من القيام بمزيد من البحث الجدى بهدف الانتقال به من شكله الاولى البسيط المذكور الى شكل اكثر حذلقة ودقة ، اى « اكثر استيعابية » ، كذلك لا يعفينا هذاالذكر للمحتوى الاسمى اى الشكلى للتراث من مهمة اصعب هى مهمة استخلاص مفهومى ، اى فكرى ، للثقافة القومية ، اى مهمة التصنيف الموضوعى للثقافة القومية حسب مقومات منطق ثقافى مفيد للقومية ، ولعل من اهم المحاولات** الحالية التى يقوم بها مفكر عربى معاصر في مضمار هذا التصنيف الموضوعى هى محاولة استاذ اساتذتنا في المنطق صاحب كتاب **تجديد الفكر العربى** بعد كتاب **خرافة الميتافيزيقا** ، واعنى به الاستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الذى يبحث فى كتب التراث ليتبين بكل جلاء المكان الذى حفظه هذا التراث للعقل كأسلوب للوصول الى المعرفة الهادية في العمل .

على كل حال ليست هذه المهمة الاصعب مهمتنا فى هذا المجال . يكفى اننا ذكرنا بعض ما نرى انه يشكل اساسيات الثقافة القومية العـــربية ليمكننا الان الانتقال الى تبيان ما يعنيه مفهوميا وعمليا تعبير الثقافة المحلية.

ثانيا : ما هى الثقافة المحلية عامة ، والثقافات المحلية فى الوطن العربى خاصة :

تنطبق على البحث فى معنى تعبير الثقافة المحلية الصعوبات التى اشرنا اليها لدى البحث فى معنى تعبير الثقافة القومية **والثقافة المحلية عموما ولاغراضنا العملية ، هى تلك الثقافة التى لا يشعر بالشراكة فيها كل الذين ينتسبون الى قومية واحدة ، بل فئة منهم فقط . وهذه الثقافة هى عموما عامودية (١) ، اى ليست افقية ، اى ليست ناجمة عن تمايز طبقى وان كان التصنيف الطبقى يشرح احيانا بعضا من اوجهها .**

وتمتاز الثقافة المحلية بانها لصيقة بالمنتسب اليها اثيرة لديه ، قريبة الى قلبه . ولعل مما يزيد من صفاتها تلك هو الادراك الناقص او المشـوه الذى قد تلقاه من المنتسبين الى ثقافة قومية عامة . هذا الادراك الناقص او المشوه الذى قد تلقاه الثقافة المحلية يجعل المنتسب اليها يشعر وكانها تحمل من هويته الذاتية اكثر مما تحمله ثقافته القومية من تلك الهويـة . **ان الثقافة المحلية ، بهذا المعنى وفى حدها الادنى ، تختلط جدا بالذكريات الشخصية للفرد فى مجتمعه الاضيق ، وبهذا الاعتبار فهى بالغة الدلالة فى اثرها التكوينى على البنية النفسـية للمنتسبين اليها** . ولنلاحظ بالمقابل ان الثقافة المحلية ، اذا كانت فى حدها الادنى ذكريات شخصية للفرد فى مجتمعه الاضيق ، فهى فى حدها الاعلى رفض ضيق للغير ، ضيق بمعنى انه لا يكترث بالمتطلبات الحياتية الاولية ، **والغير هنا فى كثير من الاحيان هو الغير المباشر الذى قد ينبثق عن رفضه توق وهمى الى غير بعيد غير مباشر ـ وهذا هو اخطر ما فى الثقافة المحلية .**

والثقافة المحلية ، منظورا اليها فى نطاق الثقافة القومية ، امـا ان تكون **واحدة من مجموعة ثقافات محلية ليس فيها ما هو غالب** (كما هـو الحال مثلا فى يوغسلافيا وايضا ، كما يرى كثيرون ، فى الاتحاد السوفيتى)

---

(١) نقول « عموما » لأن بعض الثقافات المحلية فى الوطن العربى كما سنرى فى موضع لاحق (ص ١٩٦) ذات مصدر اقتصادى مباشر ، ومصدرها الاقتصادى هذا يجعلها أفقية أكثر مما هى عامودية ، ثم ان ثمة موضعا هنا لنقطة تحفظ منهجية وهى أن الماركسية ترى أن الثقافة ، كل ثقافة ، انما هى بناء فوق معتمد الاعتماد كله على البناء التحتى .

او واحدة من ثقافتين محليتين متساويتين عموما في الاهمية (كما هو الحال مثلا ، وعلى نحو تقريبى في كل من بلجيكا وكندا) **او واحدة منفردة الى جانب ثقافة قومية غالبة** (كما هو حال الباسك مثلا فى اسبانيا) **او واحدة الى جوارها مجموعة ثقافات محلية كلها تقع فى نطاق ثقافة قومية غالبة** (كما هو الحال مثلا في وضع الثقافتين الغالية والسكوتلاندية في انجلترا ، او وضع الثقافتين البريتانية والباسكية في فرنسا ، اووضع الثقافات المورمونية والكاثوليكية والفرنجية وغيرها فى نطاق الثقافة القومية الغالبة فى امريكا ، وهى ثقافة الواسب . Wasp (1)

ولنلاحظ فى الثقافات الاوروبية ظاهرة جديدة تترتب عليها آثار كثيرة الا وهى **ظاهرة ثورة الاهتمام بالثقافات المحلية وتيقظ المنتسبين اليها الى ابعادها ، ومحاولتهم استخلاص نتائج سياسية منها . وعلى هذا نشهد في الساحة الاوروبية مثلا** ، ومنذ سنوات ، ظاهرة ثورة الباسك فى اسبانيا خاصة وفي فرنسا ، كما نشهد فى الساحة الانجليزية توترات جديدة فى الشعور الغالى والشعور الاسكتلندى يترافق مع تنظيرات ليست سهلة الدحض حول استحقاق القول بقومية غالية وقومية اسكتلندية . واود ان اشير بصدد الشعور الاسكتلندى الى مسألة هامة لها مغزاها الكبير الا وهى حقيقة ان توتر الشعور الاسكتلندى ، الذى كان دائما واضحا ، اخذ يتصاعد بشكل هندسي مع اكتشاف **الغاز والنفط** فى تلك المنطقة الجغرافية من المملكة المتحدة ، وان اهم مظهر لهذا التوتر المتصاعد فى الشعور الاسكتلندى هو البحث الحاد الدائر الان حول كيفية اقتسام عائدات تلك الثروات الطبيعية بين الحكومة المركزية وحكومة اسكتلندا ، اقتسامها ليس الان ، بل فى السنوات القادمة حين يصبح استثمار تلك الثروات الطبيعية امرا مربحا تجاريا .

والان وبعد ان اشرت باختصار الى بعض وضعيات الثقافات المحلية في اطار الثقافة القومية لعدد من الدول الاوروبية ، اشتراكيهاوراسماليها، **أود أن اذكر ان الثقافات المحلية الغربية ، في تعددها الكبير ، لا سيما في أوروبا ، لا تكاد تشهد فى هذا التعدد ما تشهده اصغر دولة من دول العالم الثالث . والسبب الهام في ذلك ، السبب المحتاج الى مزيد من الايضاح**

---

(١) هذه الكلمة مشتقة من التعبير الأمريكى التالى :

White Angel-Saxon Protestant

المؤطر باطارى الزمان والمكان ، هو ان دول العالم الثالث ، ذات التـاريخ الاطول نسبيا ، قد عانت في تاريخها من تدخل اوربى مستمر منذ عصر الاكتشافات الجغرافية ، وهذا التدخل الاوروبى كان يستفيد دائما ، ومن اجل هذا يستثير دائما ، ثورة الحس لدى الثقافات المحلية لكى يضعها ، حين يستطيع فى موضع تناقض معالثقـافة القومية . باختصـار : عملت الثقافات القومية الغالبة في الغرب على تفتيت الثقافات القومية الغالبة في العالم الثالث لصالح الثقافات المحلية فى ذلك العالم الثالث . وهـذا امـر معروف بالطبع ، ومعروف ايضا ان النظير المقابل لهذه العملية لم يحصلبعد حتى الان ، وان كان تاكيد منظمة الاوبيك (١) لذاتها في السنوات الاخيرة يمكن ان تنسب اليه ، جزئيا على الاقل ، ثورة الحس الاسكتلندى الناجم فى قسم كبير من توتره المتصاعد الراهن ، كما اسلفنا ، عن ظهور ثروات الغاز والنفط فى ذلك الجزء من المملكة المتحدة .

والان ، اذا نظرنا الى الثقافات المحلية فى الوطن العربى وجدنا بينايدينا عددا لا يكاد يحصي من هذه الثقافات التى تتنوع بالطبع فى اهميتها ، سواء منها اهميتها الثقافية او اهميتها السـياسية او ما بينهما .

ولعله يحسن بنا ، دون الخوض في بحث الاهمية هذا (رغم انه بحث ينبغى ان يشغل مكان الاولوية فى جدول عنايتنا السياسية والثقافية) **لعله يحسن بنا ان نقوم بمحاولة تصنيفية اولية لتبين مصادر هذه الثقافات ، وذلك ان تبين المصادر يتيح لنا التعرف على بداية الطريق الواجب سلوكه لمعالجة ما ينجم عن هذه الثقافات من آثار على الصعيد القومى .**

وفى المحاولة التصنيفية هذه يمكن لنا تبين معايير مختلفة ، **كالمعيار التاريخى** (اى تاريخ بدء نشوء الثقافة المحلية) ، **والمعيـار الجغرافي** (اى معيار الامتداد الجغرافي لثقافة محلية ما) ، وغيرهما . على كل حال يبدو لنا ان اجدر ما ينبغى لنا تبنيه من معايير **كقوميين عرب ، هـو معايير المقومات الموضوعية للقومية العربية بالذات ، مرتبة حسبما استقر عليها ، عموما ، الاجماع القومى ، واولها معيار مقوم اللغة .**

---

(١) هى منظمة الدول المصدرة للنفط .
Organisation of Petroleum Exporting Countries

ولنلاحظ انه بمعيار مقوم اللغة كثيرا ما تختلط اللغة بالعنصر Race-ethnos وهذه ليست حالة القومية العربية فحسب بل هي حالة معظم القوميات الاوروبية ـ وفي الحقيقة هي حالة القومية العربية الى حد ادنى بكثير مما هي حالة معظم القوميات الاوروبية ـ بمعيار اللغة ـ العنصر Ethno-Linguistic Critarion **تخرج معنا ثقافات محلية في الوطن العربي يطلق عليها عادة اسم الاقليات العنصرية او القومية او اللغوية ، ولم تبحث امور هذه الاقليات جديا حتى الان من قبل المفكرين القوميين ،** وان كانت حظيت باهتمام كبير من قبل الدوائر الاستعمارية لاغراض معروفة ،وايضا من قبل رجال الحكم في عدد من الاقطار العربية لاغراض السياسة العملية . تقصير الفكر القومي في هذا المضمار امر يمكن تفسيره (بالانشغال عموما) ، ولكن لا يمكن تبريره مطلقا اذ هو قد ادى ـ وما يزال يؤدي ـ **الى حرمان هذا الفكر القومي من دوره الاساسي كرائد للسياسة العملية في منطقة هي في صميم مناطق القومية العربية ارهاف حساسية وخطورة .**

تندرج في حقل الثقافات المحلية اللغوية ـ العنصرية قائمة طويلة من **الحالات** ، بعضها يبدو مستعصيا بالفعل ، وبعضها قد يكون كذلك بالكمون **لا بالفعل** ، وبعضها ادنى شانا مما سبق . ففي الحالة الاولى مثلا كانت المسالة **الكردية** التي تبدو الان وكانها قد انتقلت الى الحالة الثانية . وتقع في الحالة **الثانية بالتاكيد مسالة البربر في المغرب العربي** ـ لا سيما في المغرب والجزائر ـ والبربرية كما هو معروف ، تكتب منذ مدة ليست طويلة بالحروف **اللاتينية** ، وقد شجعت دوائر في الغرب مثل هذا الاتجاه ومسالة جنوب **السودان** وغيرهما . اما في الحالات **الادنى شانا فتقع مثلا مسالة الارمن ، والطوارق** (التوارك) في ليبيا وغيرها . **ولنلاحظ ، بعد كل هذا ، ان كثيرا من الثقافات المحلية العربية** (ونقول عربية ، اي التي تدخل بالمعيار اللغوي ـ العنصري ضمن اطار الثقافة القومية) **تستمد بعض حيويتها من اللهجات المحلية ، وان كثيرا من هذه اللهجات لا يوفر تفاهما متبادلا جديا بين متكلميها .**

فاذا انتقلنا من معيار اللغة ـ العنصر الى معيار التاريخ ـ والتاريخ عموما هو المقوم الموضوعي الثاني للقومية العربية ـ وجدنا ان هذا التاريخ يختلط احيانا بعامل الدين ، ولو الى حد ادنى من اختلاط اللغة بالعنصر ، ولو حد ادنى ايضا ، فيما يختص بالقومية العربية ، من اختلاط التاريخ بالدين في حالات معظم القوميات الاوروبية .

بمعيار التاريخ ـ الدين تخرج معنا قائمة طويلة من الثقافات المحلية في الوطن العربي اهمها الثقافات الدينية غير الاسلامية ، والثقافات الطائفية بين المسلمين ، وقد نستطيع ان ننسب الى المذاهب الفقهية السنية الاربعة صفة الثقافات المحلية ، اذ لم يكن تاريخ التنافس بين هذه المذاهب سهلا ولم يكن بعيدا عن تاريخ التنافس السياسي العام في المنطقة . ويلاحظ في تاريخ هذه الثقافات المحلية انها في فترات طويلة من تاريخنا كانت مغلقة على ذاتها الى حد اكبر مما كانته الثقافات الناتجة عن معيار اللغة ـ العنصر ، فلم يكن من الممكن التزواج مثلا بين فرد من ثقافة محلية وفرد من ثقافة محلية اخرى ، وكان يستحسن ان يبقى التعامل بين فرد من ثقافة محلية وفرد من ثقافة محلية ضمن اضيق مجال ممكن وهكذا .

ولدينا بمعيار مقوم الوحدة الجغرافية للقومية العربية اختلاط بالمعيارين السابقين ، فمن الواضح ان عنصرا معينا يسكن ، اكثر الاحيان، منطقة جغرافية واحدة ، وكذلك المنتسبون الى ثقافة تاريخية ـ دينية واحدة ـ والثقافة المحلية القائمة على اساس جغرافي امر معروف في الوطن العربي منذ القديم وتدخل في هذا النطاق المعارضة بين نجد وتهامة مثلا ، أو بين الحواضر والبوادي . ونجد الآن ثقافات محلية ذات اساس جغرافي في « متوسطية » بعض الموانىء العربية في البحر الابيض المتوسط وما يسودها من روح كوزموبيليتية لا تشاركها بها مثلا موانىء الخليج العربي والمحيط الهندي . كذلك نجد ثقافات محلية ذات أساس جغرافي في « افريقية » بعض مراكز الثقافة القومية العربية في افريقيا ، و «ايرانية» بعض مراكز الثقافة القومية في العراق والخليج .

واخيرا لدينا معيار رابع كمقوم للقومية العربية هو معيار المصالح المشتركة ، واود ان اسميه ، فيما يتعلق بالثقافات المحلية ، معيارا محيطيا حديثا Circumstantial واعني بهذه التسمية تلك الثقافات التي نمت نتيجة ظروف متنوعة (سياسية واقتصادية خاصة) خلال القرون الاخيرة . ويبدو لي ان اهم هذه الظروف اثرا في خلق ثقافات محلية ظرفان : ظرف سياسي يتمثل في الاستعمار العثماني ، ثم الاوروبي بعده ، كما يتمثل في الدول العربية التي نشأت منذ زوال هذين الاستعمارين ، وظرف اقتصادي يتمثل خاصة فيما يخص اغراضنا هنا ، بالتطورات الاقتصادية التي اتتنا حديثا اي مثلا خلال المائتي سنة

الماضية وما تزال مؤثرة فينا الى حد يكثر او يقل . **امثلة الظرف السياسي الخالق لثقافات محلية عديدة** ، فمما لا شك فيه ان الاستعمار العثمانى خلق فى كل البلاد العربية التى سيطر عليها **نضيدة ثقافية** Cultural layer **مانزال نرى اثرها في هذا القطر** ، ونتشارك فيها مع بلدان عربية خبرت ما خبرناه من سيطرة عثمانية ولا نتشارك فيها مع بلدان عربية اخرى لم تخبر ما خبرناه من تلك السيطرة . **كذلك ثمة عناصر ثقافة محلية مشتركة** بين كل البلدان العربية التى خضعت للاستعمار **الفرنسي** ، والاخرى التى خضعت للاستعمار **الانجليزى** وغيرها من التى خضعت للاستعمار **الايطالى** (وتصبح في هذا المجال الاخير مثلا مقارنة عناصر ثقافات محلية بين ليبيا والصومال على بعد ما بين هذين البلدين) . واخيرا فلا شك ان كل دولة عربية الان ، بظروفها السياسية ، تكاد **تشكل ثقافة محلية خاصة متميزة بتعابيرها السياسية الخاصة .**

Political Jargon or even Esoteric Language

والتى توشك ان تصبح موضع استقصاء « فعلى » على افهام بقية العرب غير المواطنين في تلك الدولة .

واذا كانت عديدة امثلة **الظرف السياسي الخالق لثقافات محلية متعددة** كذلك امثلة **الظرف الاقتصادى الخالق لثقافات محلية .** فى الحدود الدنيا لهذه الثقافات نجد **مثلا ثقافة اقتصاد القطن في مصر بأثر اللورد كرومر** ، وثقافة **اقتصاد السياحة** فى **لبنان** ، وثقافة **اقتصاد كروم العنب وما يتبعه من خمر في الجزائر** . على ان الحد الاعلى لهذه الثقافات المحلية المخلوقة اقتصاديا هو **تلك الثقافة النفطية ، المتصاعدة هندسيا فى اهميتها ، والمتجسدة خاصة** فى امارات ومشيخات وحاكميات ودويلات نفط الخليج العربى . هذه الثقافة النفطية ابعد خطرا من غيرها بكثير ، على الاقل **لان كل المثقفين العرب يودون ، ولمصالحهم الخاصة ، ان يخدموها وبالشروط التى تفرضها عليهم ، ولا يبرؤها ولا يبرؤهم من وصف الخدمة بانها مشروطة ما يقال عن الهدف القومى لتلك الخدمة .** وهل من الهدف القومى للخدمة ان يترك المدرس الجامعى آلاف طلابه فى الجامعات العربية الاكثر تقدما ليذهب كى يلقى محاضراته على طالبين او ثلاثة فى جامعة نفطية التمويل ؟

قمنا فيما سبق **بمحاولة « تصنيفية » اولية لمصادر الثقافات** المحلية فى الوطن العربى حسب معايير اربعة تقصدنا ان تجارى المعايير الموضوعية المجمع عليها لمقومات القومية العربية . ولكننا نعلم جميعا ان كل تصنيف فى العلوم الاجتماعية تعسف الى حد كبير او صغير ، يصح الاخذ به **لغرض مقاربة الموضوع اى تناوله ، ولا يصح الاخذ به اطلاقا .**

والحق ان تعسف التصنيف واضح فيما اسلفناه ، ذلك ان كثيرا من **الثقافات المحلية** ـ او فلنقل ان اهم الثقافات المحلية فى الوطن العربى ـ **انما هى نتاج مصادر عديدة متقاطعة . فالثقافة المحلية القائمة على معيار اللغة ـ العنصر قد يكون لها تاريخها ودينها المستقلان ، وارضها الجغرافية المحدودة ، ومصالحها السياسية والاقتصادية الخاصة . وبالطبع كلما قامت ثقافة محلية على مجموعة من هذه المعايير كلما كانت اشد تماسكا داخليا وكلما ازدادت استثارتها لمخاطر قومية . ليس هذا موضوع بحثنا** على كل حال ، اذ ان علينا الانتقال الى بحث حول العلاقة بين الثقافتين القومية والمحلية في عالمنا الراهن لننتقل بعد ذلك الى بحث حول العلاقة بين الثقافة القومية العربية والثقافات المحلية فى الوطن العربى .

ثالثا : العلاقة بين الثقافتين القومية والمحلية فى عالمنا الراهن :

اشرت فيما سبق الى تصاعد ثورة الحس بالثقافات المحلية فى عديد من دول اوربا وامريكا ، وهى الدول الاسبق فى مجال التطور . وبغض النظر عن الكثير الذى يمكننا الافادة منه لدى دراسة هذه الظاهرة فى اوروبا ، لا سيما **ما يجرى فى المملكة المتحدة حاليا** (وهى الامبراطورية التى جاء تلاحمها نتيجة تمتعها بما جره عليها الاستعمار من منافع) **الا اننى اود الاقتصار على تقديم الملاحظات حول ملامح التجربة الامريكية بهذا الصدد** ، ذلك لان هذه التجربة تعرضت اكثر من غيرها للدراسة ، ولانني عموما اكثر احاطة بها من تجارب اخرى مختلفة . **هذا الاقتصار لا يعفينى بالطبع ـ فيما اذا شئت متابعة هذا الموضوع من البحث في تجارب اخرى اهمها تجارب كل من الاتحاد السوفييتى ويوغسلافيا والهند .**

درج الباحثون الاجتماعيون والحضاريون ، الامريكيون خاصة ، على وصف التجربة الامريكية بانها تجربة « **البوتقة الصاهرة** » Melting Pot **حيث تاتى مجموعات المهاجرين (اى المستوطنين) من ثقافات قومية مختلفة لتلتقى فى امريكا وتنصهر فيما يعرف باسم « طريق الحياة الامريكية** » American Way Life وكان مما سهل عملية الصهر تلك ـ تاريخيا ـ **هو ان المستوطنين اتوا اساسا من بلادهم الاصلية لكى « ينسوا » ما كان لهم فيها هناك من ذكريات اليمة ، اقتصادية او سياسية** . وهكذا كانت ارادتهم **الذاتية منشغلة الى اقصي حد فى محاولة الاندماج بالمحيط الجديد** وبناء حياة جديدة بعيدة عن معوقات واحباطات الماضي . ثم ان كل المستوطنين اتوا بشكل غير سيادى ـ او غير سلطوى ، اى كافراد ـ

ولم يكن لديهم اى مانع بالطبع ، وهم لاجئون ، من القبول بكل **ما يفرض عليهم من شروط كثمن لما يقدم لهم من فرص** . وهكذا كانت مجموعات القادمين ، اذ تأتى الى امريكا ، فلتنسى السياسة ولتصبح بالتالى جماهير غير مسيسة (**اى طبقة بذاتها لا لذاتها** ، حسب المفاهيم الماركسية) ، سهلة القياد ، تواقة الى تقليد مظاهر حياة من سبقها من مجموعات القادمين .

رغم ما يبدو من بساطة فى مجتمع البوتقة الصاهرة كما ذكرنا فيما سبق ، بساطة تصر عليها الادبيات الاجتماعية والحضارية الامريكية ، وتصر على وصفها بانها **بساطة تشاركية وتساو** ، الا ان **البحث الجدى وتساو يظهر ان بساطة التشاركية والتساوى (والتعدد عموما)** لم **تكن كل شيء** . ففى عملية **التبوتق الانصهارى الامريكى عمم المتفوقون تفوقهم ، سياسيا واقتصاديا** ، وفرضوه **ثقافة قومية على الثقافات المحلية الواردة ، فسادت ثقافة الواسب** Wasp وصار تمثلها هو معيار الانصهار . بكلمات ابسط ، عنت التجربة الامريكية ، اقتصاديا ، **جعل كل امريكا مثل انجلترا الجديدة** New England ، كما انها عنت ، سياسيا ، **تكريس** البروتستانت المنحدرين من اصل انجلو ـ ساكسونى طبقة سياسية حاكمة غير منازعة . مجال الثقافات المحلية كان اذن دائما فى مرتبة ادنى من تلك الثقافة التى اتت اساسا من انجلترا واستلمت مقاليد الحكم فى امريكا وصارت ثقافة قومية لتلك الدولة . ولعل اخطر هزة تعرض لها **نظام الاستيعاب الامريكى** هذا هى هزة انتخاب كاثوليكى ايرلندى ـ جون كنيدى ـ للرئاسة الامريكية عام ١٩٦٠ .

ومنذ ئذ اخذت تتوالى التهديدات لنظام الاستيعاب الامريكى هذا ، فقد اشتدت حركة المطالبة **بحقوق الانسان** (وطليعتها الملونون (١) ، ويتبعهم البورتوريكون والعمال المكسيكيون وغيرهم) ، وزاد **تعبير الثقافات المحلية عن نفسها سياسيا** ، حتى لقد صار لكل ثقافة محلية هامة ممثلوها فى **اجهزة السلطة التشريعية والتنفيذية** ، ممثلون يصدرون عن مصلحة من يمثلون من ثقافات محلية لا عن مصلحة الثقافة القومية عامة . واتت نكسات سياسة امريكا الخارجية ، لا سيما هزيمة امريكا في فيتنام ، لتزيد من شعور الثقافات المحلية بان ما قبلته كنظام الاستيعاب في امريكا لا يقدم لها ولا

---

(١) يفضل زنوج أمريكا تسمية أنفسهم باسم الملونين أو السود ، بدلا من « زنوج » التى تثير لديهم ، نوعا ما ، ذكريات أيام العبودية .

لامريكا الخدمة والحماية الكافيتين (١) .

والآن يجتاح المجتمع الامريكى تيار عميق من تلك التيارات التاريخية العميقة المعروفة باسم **تيارات مراجعة الذات** ، تعبيرا عن الشك فى نظام القيم الراهن ، وبحثا عن نظام قيم جديد أكثر ملاءمة للمدركات الراهنة . **فى هذا الجو الامريكى العام تهاوت نظرية بوتقة الصهر ، وحل محلها تاكيد** أشد على استحقاق الثقافات **المحلية** ، **تاكيد ليس واضحا بالضبط المدى الذى سيصل اليه على صعيد السياسة العملية . ولكن** ، رغم عدم وضوح المدى غير المنظور لما يجرى حاليا فى امريكا ، الا ان القول مثلا بامكان قيام كيان للملونين فى امريكا لم يعد الآن قولا خاليا من المعنى بالقدر الذى كان به ذلك القول خاليا من المعنى قبل نحو من عشرين عاما ــ أى منذ قرار المحكمة العليا حول الاندماج التربوى عام ١٩٥٤ (٢) .

الملاحظات السابقة حول ملامح من التجربة الامريكية **خاصة بامريكا طبعا ، ولكن فيها مؤشرات للامح من التجارب الاخرى في العالم المتقدم .** ولن اقدم هنا نظرية لم ابحث فى مقدماتها على نحو كاف ، ولكننى ساقدم **فرضية أرجو ان تثير الاهتمام** ، فرضية قد تكون ذات عون لنا فيما نحن بصدده . **مؤدى الفرضية هو ان مجموعة الثقافات القومية التى سيطرت فى العالم المتقدم الكلاسيكى (اى العالم الاول) تقل هيمنتها على الثقافات المحلية فى دول ذلك العالم بمقدار ما يتضاءل دور ذلك العالم فى الشؤون الدولية ، اى بمقدار ما يصبح العالم الثالث خاصة اكثر استقلالية بشؤونه . بكلمات أخرى ان « السجم » (٣) الذى تمتعت به الثقافات القومية فى علاقتها بالثقافات المحلية يسير الى « نقض » ترد به تلك الثقافات « المسجومة » تاريخيا على الثقافة الساجمة تاريخيا ، وهذا التحول من « السجم » الى « النقض » محصلة للتغيرات الدولية التى أتى بها ــ خاصة ــ عالم مابعدالحرب العالمية الثانية .**

---

(١) انتبه الملونون مثلا أن نسبتهم بين جيوش (وقتلى) أمريكا فى فيتنام تزيد عن نسبتهم فى المجتمع الامريكى .

(٢) للتوسع فى دراسة الثقافات المحلية والسياسة الدولية يمكن الرجوع إلى كتاب الدكتور عبد العزيز سعيد : العامل الأثنى فى السياسة الدولية (بالانجليزية) ، ولا سيما الفصلان الأول والثالث نشر N.J. Transaction ، عام ١٩٧٦ .

(٣) يقال سجم الدمع سجما أى سال وسجمه انسجم أى صبه فانصب ، كما فى محيط المحيط للعلامة البستانى ، على كل حال ربما جانبنى التوفيق فى استخدام هذا التعبير .

تلك فرضية كبرى لا تستطاع برهنتها الا بجهد جهيد لم ابدله ، ولكنني اظن انها قادرة على تقديم شرح ، جزئي على الاقل ، لما نشاهده من ثورة من الثقافات المحلية في عديد من دول العالم المتقدم .

هل تنطبق هذه الفرضية على العلاقة بين الثقافة القومية العربية والثقافات المحلية في الوطن العربي ؟ هذا هو موضوع الجزء الرابع والاخير من هذا الحديث .

رابعا : العلاقة بين الثقافة القومية العربية والثقافات المحلية في الوطن العربي

في دراسة هذه العلاقة يمكن لنا تمييز ثلاثة اصعدة هي : **صعيد الواقع الراهن ، وصعيد الحلول النظرية ، وصعيد الواجب القومي .**

١ ـ فعلى صعيد **الواقع الراهن** نجد ان **الثقافات المحلية في الوطن العربي لعبت ، عموما ، دورا اكبر من حجمها الحقيقي بكثير** ، لانه اريد لها بفعل ظروف السياسة الدولية (اي بفعل ظروف الضعف العربي) ان تلعب اكبر من دورها المستحق لها ، ولن نخوض في التفصيل ، فهذا القول يدخل في مسلمات الفكر القومي .

ولنلاحظ ان كثيرا من الثقافات المحلية في الوطن العربي تتشارك مع الثقافة القومية العربية **التي ذكرنا اساسياتها عيانا ، فالادب الجاهلي مرجع كل ناطق بالضاد** ، وكذلك القرآن الكريم والسنة الشريفة ومأثورات الخلفاء الراشدين والصحابة وامهات التراث الفلسفي والفكري والادبي والفولكلوريات المتداولة وادبيات النهضة الحديثة . **وعلى هذا فليس قدر تميز الثقافات المحلية القائمة في الوطن العربي عن الثقافة القومية العربية كبيرا بالقدر الذي تتميز به مثلا ثقافة ملونى امريكا عن الثقافة القومية الامريكية** . تلك نقطة موضوعية ينبغي تسجيلها بارتياح قومي .

واذا كنا نجد في معظم الدول العربية ثقافات محلية متنوعة ، فلعل الدولة العربية الاولى في هذا المضمار هي **لبنان** ، ولعل خير ما يتجسد به تنوع الثقافات المحلية في لبنان هو الدراسة التي قام بها احد رجال الدين المسيحيين في لبنان ، وقد غاب عني اسمه (١) ، **لكتب التاريخ**

---

(١) لم أقرأ الدراسة ولم أشاهدها ، بل قرأت تقريرا عنها في ملحق جريدة النهار البيروتية ذات يوم قبل ما يزيد عن عام ، ولم يسعفني « ارشيفي » الخاص ، ولم تسعفني « أراشيف » عدة هيئات مختصة ، في محاولتي العودة إلى ذلك التقرير الذي قرأت . وفي الوقت الذي أحيل=

المتداولة فى المرحلة الابتدائية لعدد من المدارس فىّ لبنان ، ومعظمها طائفى كما هو معلوم . فقد خرج الباحث بنتيجة مدهشة مزعجة ، وهى انه ليس ثمة من شخصية تاريخية واحدة تجمع كتب التاريخ المتنوعة هذه على وصفها بالبطولة . **بل ان بطلا فى كتاب تاريخ لمدرسة معينة قد يكون هو نفسه نقيض البطل فى كتاب تاريخ لمدرسة اخرى** . ولكن هذه النتيجة التى خرج بها الباحث ، بمقدار ما هى مزعجة ، الا انها ادانة لنظام تربوى لا يعكس واقع لبنان نفسه بقدر ما يعكس واقع التأثيرات الثقافية الاجنبية الكثيرة المتنافسة الفاعلة فى ذلك النظام ، وثمة مؤشرات عديدة اخرى توضح ليس فقط ان للشعب العربى فى لبنان ابطالا مجمعا عليهم ، **بل ان** بطولة هؤلاء موضع اجماع يتشارك فيه اللبنانيون مع غيرهم من العرب من المحيط الى الخليج .

على صعيد الواقع الراهن اذن ليس لدينا التنوع المتناقض الواسع من الثقافات المحلية الذى شاء ان يشجعه على ثقافتنا القومية العربية غرباء اتونا بنظريات مشبوهة كنظرية التركيب الموزاييكى للمجتمع العربى وغيرها (١) . ومع ذلك ، وطالما ان المشكلة مطروحة ليس بالكلمات فقط بل بالدماء ، فلا بد لنا ، لغرض المناقشة ، الا ان نقبل جدلا بوجود مشكلة وننطلق لنبحث لها عن حل .

٢ ــ على صعيد الحلول النظرية ثمة حدان متناقضان يمثلان نمطا **واحدا من التفكير ، احادى المنطلق ، مرفوضا لاحاديته تلك . يقوم هذا النمط من التفكير على اعتماد طرف ثقافى وحذف الاخر ، فثمة قوميون عرب يرون ان تقام علاقة قسرية لانسجام كلى بين الثقافة القومية العربية**

سفيه القارىء إلى ما لا أستطيع أنا نفسى أن أحيل نفسى اليه ، أعود لتأكيد نقاط ذكرتها فى مقال لى بعنوان «أساسيات من أجل ثقافة عربية منظمة» ظهر فى مجلة الكاتب القاهرية (العدد ١٢٣ - ، يوليو ١٩٧١ ص ١٧٨ .

(١) أهم داعية للنظرية الموزايكية هذه أمريكى كان أستاذا للانثر بولوجيا اسمه كارلتون كون Carleton Coon فى كتابه القافلة Caravan الذى كان يدرس فى كثير من جامعات أمريكا على أنه « الشرق الأوسط الحقيقى » ثمة داعية راهن أكثر جدية من كون لنظرية الموزاييك هذه هو المؤرخ الصهيونى ايلى خضورى الذى يدرس فى جامعة لندن . انظر مراجعتى لأحد كتب خضورى هذا فى مجلة شؤون فلسطينية (العدد/ ٢ /أيار ١٩٧١، ص ١٨٧ — ١٨٩) .

والثقافات المحلية في الوطن العربى عن طريق سحق هذه الثقافات . وثمة من جهة اخرى تمزيقيون للثقافة القومية العربية يرون انه ليس لها سوى وجـود ذاتى (أى وهمى . أى لدى « قوميين خياليين ») **وان الوجـود الحق هو للثقافات المحلية التى عليها ان تنقض ما يمكن لهؤلاء المتمزيقيون ان يقبلوه من وجود لعناصر الثقافة القومية العربية** . وبالطبع يلتقى هذا الموقف التمزيقى من أصحاب نظرية الموزاييك ومع التفكير الصـــهيونى والاستعمارى عامة ، بشأن مستقبل المنطقة العربية .

هذان الحلان النظريان جدا وهميان جدا ايضا لانهما يناقضـــان الواقع الملموس الذى هو واقع قومى عربى قبل كل شيء .

٣ ــ على صعيد الواجب القومى : من منطلق الواقع القومى العربى المجمع عليه الآن عربيا ــ على الاقل في مجال **التعبير الفكرى والسياسي** (١) ــ ليس ثمة من شك حول ضرورة تدعيم القومية العربية بما فى ذلك اعادة الثقافات المحلية فى الوطن العربى الى حجمها الطبيعى المتواضع .

والاساسي النظرى لهذه العملية المزدوجة هـو الالحاح على المقـوم الذاتى للقوميات ــ ومن جملتها القومية العربية ــ الا وهو العامل الارادى : فالعرب عرب قبل كل شيء بادراكهم الواعى لعروبتهم ، وادراكهم الواعى هذا بقدر ما يستند الى تراث الماضي فانه ايضا محصلة لمعطيات الحـاضر الدولى الراهن . وكما قلت في محاضرة سابقة فى هذا المكان قبل ما يقرب من عام ، **فان القومية العربية تأتينا اليوم ، فى وجهها العملى ، من حقيقة العصر ، هى ثورة الاتصال والتواصل ، وان سلاحنا فى تحقيق القومية العربية هو العلوم الاجتماعية الراهنة المعتنقة للتغيير الثورى (٢) .**

وفى يقينى ان العمل الذى يفرضه علينا الواجب القومى في تدعيـم الثقافة القومية العربية له طرق عديدة متكاملة اذكر منها التالى :

ــ استعمال العلوم الاجتماعية لتثبيت علمى كامل العلمية لمسـلمة

---

(١) يمكن الرجوع بهذا الشأن إلى مجموعة محاضرات ألقيتها فى ربيع عام ١٩٧٥ على طلبة دبلوم الدراسات السياسية فى معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ، وقد نشرتها مؤخرا وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية ، وهى بعنوان : العروبة وغيرها من مظاهر الانتماء فى الدساتير الراهنة للأقطار العربية .

(٢) محاضرة ألقيت فى المركز الثقافى العربى بتاريخ ٢١-٥-١٩٧٥ وبعنوان « خواطر حول مستقبل الوحدة العربية » ، ونشرتها جريدة البعث فى أعدادها من ٤ إلى ٨-٧-١٩٧٥ .

قومية مؤادها ان القومية الاولى والوحيدة فى المنطقة العربية هى القومية العربية .

- **القيام بجهد واع منسجم مع منطق التطور ، ومساعد له ، فى منطقتنا العربية لزيادة تمازج الثقافات المحلية .** مثل هذا الجهد الواعى يتضمن فى رأيى مزيدا من **العلمنة** التى هى حقيقة من حقائق العصر ، ومزيدا **من اجتثاث الفروع الراهنة للخلافيات الماضية التى** لم تعد لها مبرراتها . وبالطبع فان **التصنيع** خير وسيلة لتمازج الثقافات المحلية ، وللتمازج الاجتماعى عموما .
- **تعميم تراث الثقافة القومية العربية ونشره على اوسع نطاق ممكن اذ انه الجامع المشترك الاعظم للعرب .** ومن هذا المنطلق كان المشروع الذى طلع به **المرحوم الدكتور سامى الدروبى ،** المفكر القومى المعروف ، لانشاء دار نشر تصدر سلسلة كتب جيب تعنى بتعميم امهات كتب التراث فى طبعة واحدة شعبية دقيقة سهلة التناول .
- **اخراج الثقافات المحلية من ضيقها الذى أورثته نفسها** ـ لا سيما منه ما فات وقت مبرارته ـ **او من التجاهل المتعمد الذى تعرضت له ، واخضاعها للتحليل العلمى المستنير والواعى قوميا .**

هذه الطرق العديدة المتكاملة التى يتوجه بها التطور التاريخى لمنطقتنا تتجاوز نطاق حدى السجم والنقض بين الثقافة القومية العربية والثقافات المحلية فى الوطن العربى الى صعيد تركيبى متقدم متصالح مع ذاته ومع محيطه ، يقوم بما يفرضه عليه ويتوقعه منه التطور العام للبشرية .

واخيرا ، فقد لا اكون اتيت بجديد اذا ختمت حديثى هذا المساء بذكر الفرضية المقابلة للفرضية التى كنت ذكرتها فيما سبق حول علاقة الثقافات القومية بالثقافات المحلية فى العالم الاول . لقد قلت اذ ذاك ان الثقافات القومية فى العالم الاول يتضاءل دورها لصالح الثقافات المحلية لدول ذلك العالم كمحصلة لتضاؤل الدور الذى لعبته تلك الدول فى السياسة الدولية . الفرضية المقابلة لدينا ، والتى اراها رأى العين ، هى ان الثقافات المحلية فى الوطن العربى تعود الى دورها المتواضع الطبيعى بينما تترسخ الثقافة القومية العربية كمحصلة للدور العربى الصاعد فى السياسة الدولية ، او على الاصح كمحصلة للدور الصاعد الذى يطلبه الآن من العرب ويكاد يفرضه عليهم التطور العام للبشرية . *

(*) (نشرت هذه المحاضرة فى جريدة البعث فى أعدادها من ١٩ إلى ٢١/٥/١٩٧٦) .